

8 تموز... اغتالوا سعادته لأنه قاد الثورة القومية من أجل فلسطين والأمة



مع حمية*

من يقرأ مقدمات ثورة تموز ومسارها وتناجها، يكتشف في العمق أنها ثورة قومية رداً على نكبة فلسطين، ومن أجل وحدة الأمة وقوتها وسدايتها وحرثها. ولأن الأحداث الهامة تستحق وقفة أكثر تأنيبا وإشمل تدقيقا، لا بد من الاستئثار بمذكرات من عاصروا تلك المرحلة ولعبوا أدوارا فيها. ومن بين أولئك الوسيط الذي جمع الزعيم أنطون سعادة بحسني الزعيم، واسمه الدكتور صبري قباني، وقد نشرت مذكراته في مجلة «الدنيا» الدمشقية عام 1950.

يقول الدكتور قباني في مذكراته إن لقاءات أنطون سعادة بحسني الزعيم حصلت في ربيع 1949، وإن البحث كان حول كيفية الرد على نكبة فلسطين التي وقعت في 1948، وذلك بمبادرة من الحزب السوري القومي الاجتماعي لقيام حكم قومي في بيروت متحالف مع دمشق، ليشكل انطلاقا للرد على المشروع الصهيوني.

وريباض الصلح ويشاره الخوري وكل هؤلاء هم لاعيون صغار. المؤامرة كانت أكبر من منفيها المحليين، كانت مؤامرة دولية صهيونية على سعادة الراض والمقاوم للصلح مع العدو وللتفاهات والمصالح مع حلفائه.

وسعادة كان يقود حزبا قويا له شأنه، وسعادة كان يعدّ لثورة يردّ فيها على نكبة فلسطين بتبديل معادلات في الهلال الخصيب.

وسعادة اعتمد على العمق الاستراتيجي، لكن حاكم دمشق يومها خاها لأنه كان شريكا في المؤامرة.

وسعادة بعد أن اقترب من حدود السلامة لحياته وشخصه فضل هو بإرادة مصممة أن لا يذخر وسعا ولو أقل الفرص لإنقاذ الثورة.

في هذا الأساطير تفهم أحداث ثورة تموز واستشهاده سعادة، وهذا ما وثقته مراجع العدو والصديق في ضوء أين كان موقع سعادة وحزبه في خضم الأحداث الكبيرة.

من حق ثورة تموز أن تدرس بتدقيق... ونعتقد جازمين أن ثورة تموز التي قادها سعادة واستشهد في سبيلها، من أجل إصلاح النظام السياسي في لبنان الذي ما زال قائما بكل ترسباته، هي في الأساس ثورة قومية في سبيل بناء الدولة السورية القومية الاجتماعية التي تشكل دمشق عمقا الاستراتيجي كما هي الحال اليوم.

بالتحليل الموضوعي المستند إلى الحقائق والوثائق، وبالقرأة المتأنية على امتداد نصف قرن وثيف نجد إجماعا من كل الباحثين والدارسين والكتاب على أن برنامج الثورة في شق اللبناني ما زال لبنان واللبنانيون بحاجة إليه، لأنه يشكل ضمانة صمود لبنان وانتماته القومي في فلسطين والمؤامرة الدولية الصهيونية. بعد 66 سنة على اغتيال باعث النهضة السورية القومية الاجتماعية ألا يجدر أن يُحاكم النظام الطائفي الذي حاكم الزعيم سوريا من دون أدنى وجه حق.

بعد 66 سنة على استشهاد سعادة، ما من خيار أمانا إلا الاقتداء بثورة تموز في مواجهة الإرهاب والتطرف وفي مواجهة المؤامرة الصهيونية الدولية على أمتنا وحققا وحقيقتها.

مدير الدائرة الإعلامية في الحزب السوري القومي الاجتماعي

الجديد 21 نيسان 1949) في الثمانينات خاض الوطنيون القوميون في لبنان حربا قاسية ضد العدو الصهيوني والحلف الأطلسي كله وانتصروا. وكان عمقهم الاستراتيجي في إنقاذ الثورة التي قادها الرئيس الراحل حفاظ الأسد، ومن ثمّ الرئيس بشار الأسد، تحفظ الذمم وتصوص العهد وتشرف الالتزام القومي. أما في العام 1949، فإن حاكم دمشق غدر بسعادة وطلع الثورة القومية، يوقف المدد عنها، وحال دون تدفق القوميين عبر الحدود، فأجض اندفاعها.

بعد أن تجمعت الأدلة على عرقلة حسني الزعيم لتدفق الرجال والعطاء، وظهر نيته السلبية ضد الحزب يشير عدد ممن عاصروا الثورة إلى أن رفقاء سعادة طلبوا إليه مغادرة دمشق، ويشير صبري قباني إلى حديث جرى بين الزعيم والرفيق صبحي فرحات الذي كان يقود سيارة الزعيم به إلى درعا، حول ضرورة مواصلة الطريق إلى الأردن، لكن سعادة في تلك اللحظات الفاصلة، تصرف بمسؤولية القائد القوية الذي لا يذخر وسعا، حتى حياته، لإنقاذ الثورة والحزب. طلب سعادة في منتصف الطريق من صبحي فرحات أن يعود إلى دمشق وتوسله فرحات حرصا على سلامة لكن سعادة هو الذي أمر بالرجوع، لأنه أراد كما قال لصبحي فرحات الأذخ ولو أقل الفرص، وأكثر الفرضيات ضالمة من دون محاولة ثني حسني الزعيم عما هو مقدم عليه.

لم يعتقل سعادة وهو فاضل، لم يعتقل سعادة وهو مختفي، ذهب سعادة إلى المخاطر الأشد، بإدارته الصمّمة لهه ينقاد الثورة والحزب. هنا تبرز فريدة الشامن من تموز، هنا تبرز الشهامة في وجه الغدر، والفروسية في وجه المؤامرة، وبرزت تجرد الإنسان من ذاته في سبيل القضية.

حين تكلم حسني الزعيم داعيا سعادة إلى تصفية حسابه مع طالبيه من رجال الأمان اللبنانيين، كان الصغير الذي يزداد صفرة، وسعادة العملاق يلتفت إليه باحتقار: أين العهد والمسدس عربون العهد والشرف الصهيونية الدولية على أمتنا وحسني الزعيم وحاشيته، ومحسن برازي الذي كان ينقل إلى رياض الصلح عن لقاءات سعادة بحسني الزعيم،

والخالب حادّ الأنياب... إنها أنابيب النفط التي يبيعها الفساد للاجنبي يبعها، سعادته الذي أعلن حربا لا هوادة فيها على الصلح مع اليهود، وعلى توقيع اتفاقية التاباين، باعتبار الولايات المتحدة منحازة إلى الصهاينة.

إن ساعة اغتيال سعادة عند المعسكر الدولي الصهيوني المعادي، دقت حين طالب في زمن ميكير جدا باستعمال البترول سلاحا استراتيجيا، ضد المآرب الصهيونية والاستعمارية، وحين رفض الهدنة، حتى مجرد الهدنة مع اليهود!

في هذا الخطاب وغيره من الخطب رسم سعادة مشهد المواجهة، مشهد التصدي لكل القوى المعادية في متحف خطر من المؤامرة على بلادنا، وهو نهج أكبر بكثير من السعي إلى إقامة نظام علماني ضد النظام الطائفي في لبنان، فهذا جزء من الاستهداف لا كل الاستهداف، بل الهدف هو تجميع قوة الأمة في مواجهة المخطط المعادي.

بشخصيص أشدّ وأدقّ، يكتب سعادة في مقاله الشهير «البترول سلاح انتزيسوني لم يستعمل بعد» ضد تصديق اتفاقية التاباين فيرسم استراتيجية مقاومة شاملة للمصالح



خرجون من يداهم ويشردون». (الجيل الجديد 21 نيسان 1949)

في هذا الخطاب وغيره من الخطب رسم سعادة مشهد المواجهة، مشهد التصدي لكل القوى المعادية في متحف خطر من المؤامرة على بلادنا، وهو نهج أكبر بكثير من السعي إلى إقامة نظام علماني ضد النظام الطائفي في لبنان، فهذا جزء من الاستهداف لا كل الاستهداف، بل الهدف هو تجميع قوة الأمة في مواجهة المخطط المعادي.

بشخصيص أشدّ وأدقّ، يكتب سعادة في مقاله الشهير «البترول سلاح انتزيسوني لم يستعمل بعد» ضد تصديق اتفاقية التاباين فيرسم استراتيجية مقاومة شاملة للمصالح

ضد كل من يعترض على اتفاقي البترول والهدنة، فكيف سيكون الأمر بالنسبة إلى سعادته الذي أعلن حربا لا هوادة فيها على الصلح مع اليهود، وعلى توقيع اتفاقية التاباين، باعتبار الولايات المتحدة منحازة إلى الصهاينة.

إن ساعة اغتيال سعادة عند المعسكر الدولي الصهيوني المعادي، دقت حين طالب في زمن ميكير جدا باستعمال البترول سلاحا استراتيجيا، ضد المآرب الصهيونية والاستعمارية، وحين رفض الهدنة، حتى مجرد الهدنة مع اليهود!

في هذا الخطاب وغيره من الخطب رسم سعادة مشهد المواجهة، مشهد التصدي لكل القوى المعادية في متحف خطر من المؤامرة على بلادنا، وهو نهج أكبر بكثير من السعي إلى إقامة نظام علماني ضد النظام الطائفي في لبنان، فهذا جزء من الاستهداف لا كل الاستهداف، بل الهدف هو تجميع قوة الأمة في مواجهة المخطط المعادي.

بشخصيص أشدّ وأدقّ، يكتب سعادة في مقاله الشهير «البترول سلاح انتزيسوني لم يستعمل بعد» ضد تصديق اتفاقية التاباين فيرسم استراتيجية مقاومة شاملة للمصالح



رياض الصلح مهّد لذلك بمصاحلة «الكتاب» و«النجاحة»، فجمعهما قبل الحادئ ليسد كل الفجرات الشعبية في توجيه الضربة، وهذا دليل يسقط كليا ما ورد في كتابات البعض ومنهم الكاتب جوزيف أبو خليل بأن الحادئ كان وليد ساعته.

يشير متابعون استنادا إلى أنه في الفترة بين 9 و12 حزيران بعد حادثة الجزيرة وقبل 8 تموز جاء إلى بيروت موفداً غريبان، الأول هو البريطاني وليد سترانغ قائد عام المتوسط، والثاني هو الأميركي سام كوبر مساعد مدير قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأميركية، والاستنتاج أن الزيارة المتزامنة ليست مصداقة، كما أنها «لم تكن حلقة في سلسلة الصراع الاتكولي - أميركي، مع العلم بأن الصراع كان قائما».

قد تكون زيارة الموفدين غير ذي أهمية أمام ما ذكره أحد رجال المخابرات الأميركية مايلز كولاند في كتابه «لعبة الأسم» الصادر عام 1974، وقد روى أساس المسألة بوقائعها السوءاء من دون ليس ولا إبهام، وكشف عن علاقة المخابرات الأميركية بحسني الزعيم، وأن حسني الزعيم جاء به لتوقيع اتفاقيتين خطيرتين: التاباين والهدنة مع اليهود. وكوبلاند يعتبر من أهم المصادر الأجنبية حول تلك الحقبة، وسبق أن كان أحد أهم مصادر تقييم الجانب التأمري على ثورة تموز.

يشهد الوسيط الدكتور صبري قباني، أنّ حسني الزعيم كان مطاوعا لآراء سعادة منجذبا إلى شخصه، موافقا على خطته، وأنه أهدى سعادته مسدسه دليل العهد الذي تكته لاحقا وخان الإماتة.

لقد ظهر حسني الزعيم بمظهر المخالف لحقيقته وحقيقته ارتباطاته ويظهر الانقلابي المصلح ضد الإقطاع، وضد ترهل الحكم وفساد الإدارة، وفساد الأسلحة، بعد نكبة 1948، وحين اعتمد عليه سعادة كان ينهج النهج الرصين والسليح في التخبط، أخذ بالاعتبار البعد الاستراتيجي لدمشق ظهرها للثورة، لما لدمشق من موقع نقل ووزن في خريطة الأمة، خصوصا من تأثير كبير على الوضع في لبنان، في كل الأوقات والعود.

لذلك فإن قيام حسني الزعيم بتسليم سعادته إلى الدولة اللبنانية، كان طعنا بالظهر، وخيانة متعمدة، وذلك تنفيذاً لقرار دولي أميركي - بريطاني - صهيوني،

البعد الثقافي في العقيدة والحزب

د. نسيب أبو ضرغم

المطلع على نشوء الحزب السوري القومي الاجتماعي، يدرك مدى اتساع الثقافة وعمقها في كينونة العقيدة، وفي لبنان الحزب. فليس غريبا أن يكون في السلطة التنفيذية للحزب (مجلس العمد) عمدة للثقافة. وهذا أمر يختبر خروقا لمفاهيم ذلك الزمان، وارساء لقاعدة جديدة في الحياة الحزبية والسياسية في سورية. وليس مستغربا ذلك إذا ما وقفنا على حقيقة النهضة السورية القومية الاجتماعية، من حيث هي نهضة أمة بكل ما للكلمة من معنى. ومن الوجهة التفصيلية، نقف مثلا عند المبدأ الأساسي السابع من مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي، والذي يقول «تستمد النهضة السورية القومية الاجتماعية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها الثقافي السياسي القومي».

يشكل هذا المبدأ الروح الثقافية المتمامة بكافة تفاصيل العقيدة القومية الاجتماعية وعناصرها. فالنهضة القومية الاجتماعية التي أطلقها سعادة، وروحها مستمدة من ثقافة الأمة وتاريخها. وبهذا المعنى، فإن الثقافة القومية هي روح النهضة ومضمونها. لقد تأسس على هذه القاعدة عمل فكري وثقافي فاعل في الحياة الفكرية، سواء على المستوى الشعري أو النثري. ولقد كان كتاب «الصراع الفكري في الأدب السوري» يرتكز على هذه القاعدة التي أسست للحداثة في ما بعد. الحداثة التي احتضنتها مجلة «شعر»، التي أحدثت ثورة ثقافية على مستوى الإبداع الشعري في سورية والعالم العربي.

النهضة التي هي حركة فكرية وسياسية وعقدية واجتماعية، هي عينها تستمد روحها من تراث الأمة الثقافي السياسي. القومي. هذا الربط الثقافي الذي كرسه سعادة في المبدأ الأساسي السابع هو العاصم للأمة اليوم، وكل أمة تتعرض لتوحش العولمة، من دون أن يفرض عليها



عين الجوزة يوميا الساعة 21:45

تخرّج بها النفس السورية، النفس المنطوية على كل علم وكل فلسفة وكل فنّ في العالم. هذا هو العمق التاريخي التاريخي الثقافي القومي السياسي الذي يضخّ النسخ القومي الحيوي في الأمة ويمدّها بإكسيراها الخاص بها. عظمت سعادته أنه جعل من الثقافة فعلا يمارسه الأضواء في الحزب والمقبلون عليه، من حيث أنه قدمها كثقافة فاعلة مؤثرة. فعندما يقول البعض في الحزب إننا سوريون، يقول ذلك مستندا إلى المعنى الثقافي عميق تعرّف إليه ودرسه في حلقات إذاعية. هو عندما يدرس المبادئ، إنما يرتبط فكريا بالمعنى الثقافي التاريخي للأمة. فيصيح التاريخ الثقافي - القومي مادة تفكيره وطاقتة وحركته.

البعد الثقافي في القومية الاجتماعية، حينما أبرزه سعادة، أبرز مادة منتوجة من تاريخ الجماعة القومية الثقافي - السياسي. فقد جعله يُقدّم في الوقت ذاته للمجتمع القومي قواعد في السياسة والاجتماع وغيرها من نواحي العمل القومي العام. وبالتالي فقد أخذت هذه الثقافة تجد مكانها في قناعات مفكرين وكتاب وشعراء ومبدعين، ليسوا بالضرورة قوميين اجتماعيين بالمعنى المذهبي - الحزبي، لأن القواعد الثقافية العامة التي تكتنز روح التجربة الثقافية للأمة السورية غير تاريخها الطويل هي قواعد تظل حركة الأمة بأسرها.

لماذا لم ينتصروا على سعادته بقتله جسداً الجواب بسيط. لأن سعادته تجاوز الجسد وأصبح الفكر والقضية. أصبح التعبير عن هذه الأمة، خصوصا في بعدها الثقافي - القومي المنطوي في التاريخ. والذي كشف عنه سعادة وربطه بحركة قومية اجتماعية، فأجابه بالواقع الحركي القومي المتمثل بالحزب. وأجبا الحزب بالمعنى الثقافي القومي المنطوي في تاريخ الأمة الحضاري.

لذلك لن يموت سعادته ولن يموت الحزب السوري القومي الاجتماعي لأن كلاهما تعبير عن أمة حية لا تموت.

حصاراً وجدراً وقواصل.

سعادته المبادر إلى تأسيس الندوة الثقافية في الحزب، وقد أنشأها بمرسوم صادر عن الزعيم، كونه يمثل السلطة التشريعية. هذه الندوة التي احتضنت حوارات ومناقشات ودراسات كثيرة، والتي توقفت في صيف 1938 بسبب سفر سعادة إلى أميركا الجنوبية. وأعاد إحياءها في بداية عام 1948، فكان بنتيجتها صدور كتاب «المحاضرات العشر». هذه الندوة، إن عبرت عن شيء، فإنها تعبر عن البعد الثقافي العميق في الفكر القومي الاجتماعي، وفي مؤسسة الحزب السوري القومي الاجتماعي وفي إيلاء سعادته الشأن الثقافي مرتبة تأسيسيّة.

بالعودة إلى مجلة «شعر»، لا بدّ من القول إنه ليس صدفة أن تصدر مجلة كهذه، ومعظم شعرائها من القوميين الاجتماعيين، كما أنه ليس صدفة أيضاً أن تحمل هذه المجلة في بداية الخمسينات من القرن الماضي هذه الحداثة التي كانت حينه، وبالنسبة إلى الظروف والمفاهيم السائدة، ثورة حقيقية فرضت نفسها على حركة الشعر في العالم العربي. إن مجلة «شعر» لا تجد جذورها إلا في كتاب «الصراع الفكري في الأدب السوري» وفي المعنى الثقافي للحركة القومية الاجتماعية.

تتميز الثقافة القومية الاجتماعية بأنها ثقافة الوصل والاتصال مع الموروث القومي الثقافي بغية بناء المستقبل القومي بثقافة عصريّة هي ثقافة الدمج في وحدة ثقافية متكاملة بين الجذور والأغصان، الأخذة في الارتقاء بلا حدود في سماء إنسانية. جوهر الثقافة القومية الاجتماعية في النسخ الموحّد بين العمق التاريخي الثقافي والحاضر الأخذ في النمو والارتقاء.

البعد الثقافي في العقيدة والحزب صفتها الأصالة. ولقد شدّد سعادته على أصالته، من حيث أنه لا يمكن أن يكون إلا كذلك. وكيف لا، والثقافة إن هي إلا محصلة صيرورة الأمة في صراعاها المكنن بقيم الحق والخير والجمال. قيم